الوجود المادي والوجود الغيبي في ضوء الإسلام

بلقاسم محمد الغالي
أستاذ مشارك بقسم أصول الدين
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

الخلاصة

الحمد لله الملك الكريم، البر الرحيم، رب السماوات والأرض وما بينهما رب العرش العظيم، عالم الغيب والشهادة، العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بالدين القويم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.. وبعد:

فقد قدم هذا البحث لمحة عن النظريات المختلفة للوجود، ثم بين مفهوم الوجود المادي وحديث القرآن عنه، ووصفه له، وذكر خصائصه.

ثم تطرق في الجانب الثاني منه إلى الوجود الغيبي وأقسامه، وحديث القرآن عنه، ونماذج منه، وخصائصه، وفوائد الإيمان به، والسر في حجب حقائقه عن الإنسان.

ثم بين البحث المنهج الأمثل في التعامل مع الغيب، كما نصح به القرآن، ووقف عند أسباب ضعف الإيمان بالغيب في عالمنا المعاصر، وناقش قضايا العقل والغيب، والعلم والغيب. ونبه في الختام على الفهم الخاطئ للغيب.

ABSTRACT

This study examines the different views and opinions about the physical and the unseen existence from an Islamic perspective with reference to the Quranic injunction on the attributes and characteristics of the above matter.

The study further discusses the other aspects of existence that are the unseen matters and its division with the reference to Quranic injunctions on this matter. Examples, characteristics and the benefit of believing in the unseen are also discussed in this study.

In addition, the discussion further elaborates on proper ways and means to deal with the unseen as mentioned by the QurU"an. The issue of degrading of faith towards the unseen by a certain quarter of the society at present is also discussed. This includes the discussion on human intellect and the unseen and knowledge and the unseen. At the end of the study, the issue pertaining to misunderstanding of the unseen is discussed.

مشكلة البحث:

يرى علماء العقائد أن المناهج التربوية المعاصرة في العالم الإسلامي قد قصرت في حديثها عن الغيبيات، واتسمت بسمات المناهج الغربية ذات النزعة المادية، فظهرت أجيال قلّ إيمانها بالغيبيات، والسبب الرئيس لذلك عدم إيلاء عالم الغيب ما يستحق من الشرح والتحليل والإقناع والاستدلال، لذلك تطلب هذا الأمر أن أتناول هذا الموضوع ببحث هذه القضية.

وسأقتصر في هذا البحث على بيان الوجود المادي والوجود الغيبي، أو عالمي الغيب والشهادة كما سماهما الكتاب العزيز.

الوجود قضية شائكة في النظر الإنساني:

لقد كثرت التصورات البشرية حول الوجود وتعارضت إلى حد التناقض:

فمن المفكرين والفلاسفة من شكك في الوجود المادي ونفى الحقائق الثابتة، وفي مقدمة هؤلاء الشكاك من السفسطائيين، وقد رد عليهم علماء العقيدة الإسلامية في مستهل تصنيف الكتب الكبرى بقولهم: «حقائق الأشياء ثابتة والعلم به متحقق»[١]، اجتهاداً منهم وتطبيقاً لمنهج المعرفة في الإسلام الذي يتوصل إلى الحقائق الثابتة باعتماده على الحواس والعقل والوحي، ويرفض المنهج السفسطائي في المعرفة باتجاهاته الفكرية المتنوعة. العندية والعنادية. وإذا تركنا الشكاك وجدنا أن البعض يرى أن العالـم مثالي روحي، وأن المادة في كل صورها ليست إلا ظاهرة من ظواهر الروح[٢]. يقول الفيلسوف الأمريكي وليام جيمس في هذا المعنى:«إن الطبيعة تنطق بالروح، وما العالم المادي سوى تعبير رمزي عن عالم روحي حقيقي»[٣]. وقد كان من أنصار هذا الاتجاه فلاسفة المدرسة المثالية.

وهناك فئات أخرى من المفكرين والفلاسفة الماديين يرون أن الوجود مادي محسوس، وليس هناك شيء موجود سوى المادة. فالتاريخ في حركته، والتفكير في بحثه، نتيجة من نتائج المادة. وليست ثمة روح أو تفكير منفصل عن المادة، بل كل التحولات الاقتصادية والسياسية والفكرية نتيجة لها وإفراز منها.

فالأخلاق عند فلاسفة المادة غايتها تحقيق المنافع، وليست قيماً عليا في ذاتها كالحق والخير والعدل. وما التحولات الاجتماعية إلا نتيجة تفاعلات اقتصادية، يتجلى ذلك عبر التاريخ البشري. وكذلك الأديان في ظهورها تخضع إلى قانون المادة، والعلم

والمعرفة في جَوْهرهما ينبعان من التجربة المادية، وما سوى ذلك من عالم التجريد لا معنى له. وكل شيء عند الماديين انعكاس للأوضاع المادية[٤]، فالثورات الصناعية ناتجة عن حركة اقتصادية مادية قد أدت إليها. ومن الغفلة أن يفتح المرء عينيه أمام حائط سميك ليبصر ما وراءه وهذا يتصل بالعالم الغيبي واستحالة كشفه بالنسبة لنا. يقول هربرت سبنسر: إن وراء العالـم الطبيعي جانباً يستحيل على الإنسان معرفته[٥]. أي من العبث أن تحاول كشف الخفاء عن الجانب الذي حجبه ا تعالى عنّا، ومن هنا فقد أخضع الماديون كل شيء في الوجود إلى الفهم المادي وتفسيره وفق هذا المنهج. فالحركات الاجتماعية عبر التاريخ نتيجة عوامل مادية، وظهور الأديان خاضع إلى عوامل اقتصادية، والحركات الفكرية الظاهرة والباطنة جميعها إفراز من إفرازات المادة. والتاريخ لا يفسر إلا عن طريق الظواهر المادية.

أولا: الوجود المادي:

أ- مفهومه:

- لغة: الوجود يقابله العدم، وإذا تركنا الوجود القديم وتتبعنا الكلمة في المفهوم اللغوي نجد أن معناها ينحصر في كل ما أوجده ا تعالى من العدم. يقول الفيروزآبادي: «وجد فهو موجود، وجد من العدم. ولا يقال وجده ا تعالى وإنما أوجده ا تعالى»[٦]. وإنما حصرته اللغة في ذلك لأنه يفهم من كلمة "وجد" أنه حدث بعد أن لم يكنْ.

- اصطلاحاً: تطلق كلمة الوجود في اصطلاح المتكلمين على الوجـود الأزلي وهو واجب الوجود سبحانه، كما تطلق على المخلوقات التي أوجدها ا سبحانه. يقول الرازي: «الموجود إما أن يكون قديماً أو حديثا، أما القديم فهو لا أول لوجوده وهو ا سبحانه وتعالى، والمحدث ما لوجوده أول وهو ما عداه - أي ما عدا ا سبحانه وتعالى»[٧]. وفي كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: «اختلف في تعريف الوجود، فقيل لا يعرف، فمنهم من قال لأنه بديهي التصور فلا يجوز أن يعرف إلا تعريفاً لفظياً. ومنهم من قال لأنّه لا يتصور أصلاً لا بداهة ولا كسباً. وقيل يعرف لأنه كسبي التصور، فالموجود هو الثابت العين والمعدوم هو المنفي العين»[٨]. وهذا الوجود ينقسم إلى وجود الخالق سبحانه ووجود المخلوق وهو المعبر عنه بالممكن. وسنقتصر في البحث على الوجود المادي. وهو الذي يعني كل العناصر التي تحيط بالإنسان.

فالوجود المادي واقع تحت أبصارنا نشاهده ونلمسه، ولا مجال لإنكاره، لأننا نتعامل مع مكوناته، وهو جملة الموجودات المادية بقوانينها كالأجرام السماوية

السابحة فوق رؤوسنا، والأجسام المتحركة والثابتة من حولنا. فنحن نشاهد ما يجري في هذا الوجود من تغيرات كتعاقب الليل والنهار والشمس والقمر والأرض وما عليها من دواب وأنهار وأشجار وكل مظهر من مظاهر المادة وكل تفاعل من تفاعلاتها الظاهرة والباطنة. والمادة لا تقف عند حدود ضيقة من الخصائص والظواهر، بل إن لها ظواهر عديدة إذا ما تابعها البحث بالتدقيق.

ب- تطور البحث في الوجود المادي:

ولقد كان شائعاً أن الوجود المادي يقوم على الحقائق والوقائع الثابتة التي لا يعتريها الشك، لأنها محسوسة ملموسة ومحصورة في مكان محدد وزمان معين، يخبط أحدهم على المائدة بيده، أو يضرب الأرض بقدمه، أو يقول لمن يجادله هذه هي الحقيقة التي ألمسها بيدي وأمشي عليها بقدمي أو أراها بعيني أو أسمعها بأذني؛ وكلنا يتعامل مع هذا الوجود المادي في كل يوم وفي كل حين سواء الصغير منا أمْ الكبير، العالم أمْ الجاهل، ولا يحتاج إلى علم للبرهنة على وجوده. ومظاهر الوجود المادي لا يمكن حصرها، منها ما يشاهد ومنها ما لا يشاهد. ولكن البحث في المادة قد تشعب وتفرع، بعد أن كانت العناصر أربعة: النار والماء والتراب والهواء، فقد تجاوز عددها مئة عنصر في الطبيعة حسب إحصائية علماء الكيمياء. ولقد حدث في السنوات الخمس الأخيرة من القرن التاسع عشر حوادث علمية غيرت كل صورة من صور المادة عرفها الأقدمون، وتقدمت المعرفة بالمادة حتى أفلت من المادة كل شيء ثابت، لأن الوجود المادي أعمق من هذا الكون المشاهد وأوسع وأفسح وأدق. وهو ليس سلسلة الأحداث التي ترتبط بالقوانين فقط، وإنما هو قضايا تجريدية لا سبيل إلى إدراكها إلا بالافتراض، يقول العقاد:«ماذا بقي من الفارق بين حقيقة المادة وحقيقة الروح؟ وماذا بقي من الفرق بين نهاية عالم الخفاء، ونهاية عالم الشهود على يد التجارب العلمية ولا نقول على يد السبحات الصوفية أو التجليات الروحية»(٩).

ويقول أيضاً: «ليست المادة تلك التي تتخذ من صلابتها وجسامتها شرطاً للحقيقة الثابتة، لأن الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة، ولا تزال ترتد إلى أصولها حتى تؤول إلى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء. فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته، وأصبحت في تقدير الثقات عملية رياضية معقدة تحل ألغازها بالمعادلات الحسابية الدقيقة لشدة خفائها وتشعب تفاعلاتها ودقة عناصرها»(١٠).

ولكن يجدر أن نشير إلى أن الفلاسفة قد انقسموا في رؤيتهم للوجود وتفسيره إلى ثلاثة مذاهب:

أولاً: الماديون:

تطلق المادية على المذهب القائل بأن الظواهر المتعددة للأشياء ترجع إلى أساس واحد هو المادة، وترى أن العالم مجموعة مكونة من شيء واحد هو المادة، وأن هذه المادة أساس كل شيء، ويجعل النفس مادية والعقل تابعا لها كما هي عند هوبز.

فالماديون لا يرون غير المادة، ويرون أن ما نسميه العقل ليس إلا شكلاً من أشكال المادة الدائمة التغير والتنوع، وليست المادة كتلة عديمة الحياة لا حراك بها، وإنما القوة ملازمة لها، ومظهر من مظاهرها المتنوعة.

وليست المادة دائماً محسوسة منظورة، وإنما تحتوي المادة ملايين لا تحصى من الجزئيات على حالة عاتية غير منتظمة، ويتحرك هذه الجزئيات حركات متناسقة تتخذ المادة أشكالاً متنوعة وينشأ عنها ظواهر متعددة، وهي تتطور وتتخذ أشكالاً طبقاً لسنة التطور.

وهذه المادة شاملة لا انقطاع فيها ولا فراغات، بل هي شيء منتظم متسق مع نفسه، فكل سبب يؤدي إلى النتيجة نفسها في كل زمان ومكان. وهي خاضعة لقوانين واحدة ثابتة منتظمة صارمة حتمية مطردة وآلية[11]، وبأنها كذلك رياضية واضحة، ولذا فهي لا تقبل أي خصوصيات، وهذه المادة بعيدة عن القصد، ولا يوجد بها غائية. والمادية لا يوجد بها غيبيات، بل تحوي داخلها كل القوانين التي تتحكم فيها، وكل ما تحتاج إليه لتفسيرها. فهي علة ذاتها، ومن ثم فهي ترفض الإله كشرط من شروط الحياة.

وأصحاب المذهب المادي قد اختلفوا إلى فرق: ففريق من هؤلاء يعللون تغيرات المادة بأنها تغيرات تحصل بأسباب ذاتية ترجع إلى طبيعة المادة، فأطلق عليهم أنهم «الطّبيعيون».

وادعى فريق أن المادة ترجع في أصلها إلى ذرات صغيرة جداً متجانسة متماثلة، وأن التغيرات فيها ترجع إلى شكل التأليف والتركيب بينها، فأطلق عليهم أنهم أصحاب المذهب «الذري».

وأوقف فريق من الماديين أنفسهم عند حدود ما يحسون به فقط، وأرادوا أن يصرفوا أذهانهم وتصوراتهم عن غيره، أطلق عليهم أنهم «حسيون».

وأخذ فريق آخر يعللون تغيرات المادة بالآلية في حركة ذرات المادة، فأطلق عليهم أنهم أصحاب المذهب «الآلي»[12]. وهذا المذهب ينقسم إلى الآلية المؤلهة المثبتة للعناية الإلهية، فما من ذرة من ذرات الوجود إلا وتسير نحو غاية محددة

وعناية مقصودة، وهدف مسدد، كما ينقسم إلى آلية ملحدة تسير حسب قوانين مادية وحتمية مطردة بعيدة عن القصد الإلهي.

وهكذا تتنوع مصطلحات الماديين بحسب المواقع الفكرية من جهة، وبحسب وجهة النظر التي ضل بها أصحابها أو أرادوا التضليل بها، وتثبيت أفكار متبعيهم ضمن دائرتها رغم ضحالتها وافتراق مقولاتهم حولها.

فلقد أضفى الماديون صفات الألوهية على «المادة»، فهي تتصف بأنها أصل الوجود «وأنها باقية لا تفنى» وأنها «لا نهائية» وأنها ذات جوانب غيبية لا يمكن للعقل إدراكها. لذلك كانت شهادة المتعمقين من جهابذة الفكر الفلسفي ناطقة بالإيمان، يقول فرنسيس بيكون (١٥٦١- ١٦٢٦م):«إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد، ولكن التعمق فيها ينتهي بعقول الناس إلى الإيمان.. وإذا ما صادف عقل الإنسان أسباباً ثانوية مبعثرة (في الطبيعة) فقد يقف أحياناً عندها، ولا يتابع السير إلى ورائها، ولكنه إذا أمعن النظر فشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها، فإنه لا يجد بداً من الارتماء في أحضان العناية الإلهية والتسليم با »[١٣].

ثانياً: الروحانيون:

مذهب يفسر الوجود بالروح أو العقل وحده، ويرى أن طبيعة الأشياء الكامنة وراء الظواهر المحسوسة روحية في أصلها. وهؤلاء قد اختلفوا إلى فرق منها الروحية المتكثرة، ومذهب الروحية الواحدي، ومقولاتهم متعارضة وأبرز سمة لها التناقض.

ثالثاً: الاثنينيون:

أي أولئك الذين يفسرون الوجود بالمادة والروح معاً، ويفرقون بين الخالق والمخلوق، والنفس والبدن، وهذه رؤية العقائد الدينية الصحيحة.

ويسخر منهم الماديون والروحانيون معاً فيقولون: «الاثنينية هي العقيدة التي تعتنقها العقول الساذجة، وهي أساس الأديان كلها»[١٤].

ومنذ القرن السابع عشر الذي انطلقت منه بداية الفلسفة الحديثة تفجرت النزعة التجريبية على يد كبار الفلاسفة الذين يَقفُ على رأس صفهم الطويل فرنسيس بيكون (١٥٦١- ١٦٢٦م) الذي حصر العلم في وصف الظاهرة وأعرض عن البحث في الغاية والعلة.

فالانبهار بالنزعة العقلية والتجريبية هو الذي يعد العامل الحاسم الذي دفع بهؤلاء الفلاسفة إلى الإعراض عن الأديان وما دعت إليه. وهو تعميم لا يصح لأن الإسلام دعا إلى البحث والنظر في الكون والطبيعة، وحث على الملاحظة والتجريب، الأمر الذي جعل الانطلاقة العلمية انطلاقة رائعة، والنهضة التي حققها المسلمون في القرنين الرابع والخامس الهجريين نهضة مثمرة بفضل توجيهات القرآن الكريم في هذا الصدد.

ج - الوجود المادي في القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم يسوق مشاهد متنوعة عن الموجودات المادية، فهو بحر زاخر بالحديث عن الوجود المادي مثل الماء والهواء والأرض والسماء والنبات والحيوان وما إلى ذلك من الموجودات المرئية وغير المرئية. والوجود المادي في القرآن أطلق عليه اسم عالم الشهادة، وهو زاخر بالموجودات لا يعرف أسرارها إلا: {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشهَادَة}[١٥]. إنه العالـم المحسوس أو الطبيعة أو ملكوت السماوات والأرض، وما أكثر ما يلفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى حوادث هذا العالم ومشاهد آفاقه.

وحين يشير القرآن إلى هذه الحوادث والمشاهد يستعمل الألفاظ الدالة على الحواس كالرؤية والنظر والسمع، أو الدالة على التفكير: كالتفكّر في ملكوت ا والتدبر في مخلوقاته. ومادة «عقل» في صيغها البلاغية المتنوعة الإنكارية والتعجبية كثيرة الورود في آياته.

وقد يرد لفت النظر في أول الآية، وقد يرد في آخرها حتى يتفكر الإنسان في هذا الوجود المادي كمثل الآية: {أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت. وَإِلَى السمَاء كَيْفَ رفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَال كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سطِحَتْ}[١٦]... {وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ للْموقِنِينَ. وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرون}[١٧]، {قُل انظُرواْ مَاذَا فِي السمَاوَاتِ وَالأَرْض}[١٨]، {وَسَخرَ لَكُم ما فِي السمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعا منْه إِن فِي ذَلِكَ لآيَات لقَوْمٍ يَتَفَكرون}[١٩]. وقال عز وجل {فَاعْتَبِروا يَا أُولِي الأَبْصَارِ}[٢٠]. وقال سبحانه: {أَفَلَمْ يَسِيروا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهمْ قُلُوب يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَان يَسْمَعونَ بِهَا فَإِنهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَار وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوب التِي فِي الصدورِ}[٢١].

وقال عز وجل: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمونَ}[٢٢]. وفي السنة الشريفة: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، حيث ما وجدها فهو أحق بها»[٢٣].

فالنصوص لم تشل الفكر، ولم تجمده، بل كانت هادية له ومرشدة، وتركت له الحرية والاستقلال في مجالات رحبة للبحث فيها، وليستلهم منها. وهكذا الآيات اللافتة

للنظر في هذا الوجود تعد بالمئات في كتاب ا العزيز، ليتأمل الإنسان فيها ويستنتج الحقائق والسنن منها، ويتدبر المعاني والأحداث والعبر والمشاهد في الآفاق والأنفس. قال ا تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتى يَتَبَينَ لَهُمْ أَنه الْحَق}[٢٤].

وقد حفلت آيات القرآن ببحث الكون والإنسان وصلة بعضهما ببعض، ومن هذه الشواهد يتبين أن العقل الإنساني بدلالة الحواس وبالاستعانة بها يصل إلى اكتشاف حقائق هذا الكون، ويكتشفها شيئاً فشيئاً، ويقيم عليها حضارته المادية، فيزرع الأرض، ويقيم العمران، ويصنع الآلات، ويسخر لمنفعته ما في الكون من أشياء وما لحركة حوادثه من سنن وقوانين بعد أن يكتشفها ويستقرئها ويستنتج منها ما شاء من المعارف والحقائق الكونية.

وهذا العالم المحسوس أداة معرفته الإجمالية والتفصيلية الوحي والعقل، يساعده في ذلك الحواس التي تعد منافذ العقل البشري. وهذا ما نلاحظه في القرآن حين يتحدث عن عالم الشهادة إذ تنحصر مهمة الإنسان في عمارة الكون وحسن استثماره، وذلك ضرب من عبادة ا عز وجل حيث قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِن وَالْإِنسَ إِلاّ لِيَعْبدون}[٢٥]. فجوهر الخلافة عبادة ا بمفهومها الشامل، وفي صدارتها عمارة الكون وحسن الشهادة ومعرفة قوانين الكون المادية وسننه الكونية التي تضبط حركته وتسخره لخدمة الإنسان[٢٦] ومنفعة الإنسانية عامة.

مستقبل البحث في عالـم المادة

والبحث في عالـم المادة قد تشعب وتفرع حتى كشف كل قرن من القرون خصائص ومميزات تمتاز بها المادة وتتوغل في التشعيب والتعقيد. يقول العقاد: «ولقد صح عند الذين استخدموا المادة نكران كل عالـم غير العالـم المحسوس، وإن القرن التاسع عشر كان عصر الكفر بما وراء الطبيعة أو بما وراء المادة وعصر الإيمان بالمادة دون سواها ودون ما وراءها. وأصح من ذلك أن القرن العشرين هو عصر الكفر بالمادة، وعصر العودة إلى ما وراءها، وعلى أساس المادية يجوز للباحث (الطبيعي) أن يقول: لعل القرن الحادي والعشرين سينفذ بالعقول والضمائر إلى عالم الروح من خلال الذرة على شعاع من نور»[٢٧].

ويقول وليام جيمس: «توجد أشياء لا يمكن رؤيتها رؤية مباشرة كالإلكترونيات، والبروتونات، وإن معرفتنا لها مستنتجة من آثارها.. إننا نرى ما تعمله الذرة فقط.. أما طبيعتها وأين هي فليست لنا طريقة لمعرفتها.. إن علم الطبيعة يعامل الذرة على

أنها رمز أكثر منها جوهر محدد»[٢٨]. فالمادة صارت متشعبة العناصر، دقيقة الفروع والتفاعل، ومع أنها من مواد الطبيعة غير أن فيها جانباً غير مرئي يتفاعل تفاعلاً عميقاً ودقيقاً، ويستنتج من خلال آثاره، وطُبِّقَ قوانين مادية غاية في الدقة.

د- خصائص الوجود المادي من منظور الإسلام:

هذا الوجود المادي الرحب يمتاز بخصائص وميزات منها:

١. إن الوجود المادي مصدر معرفتنا فيه العقل والتجربة والحس والوحي فيما شرحه كتاب ا العزيز وبيـنه من الحقائق المادية والسنن الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية.

٢. إن هذا الوجود يعد ميدان بحث لنا، وهو مسخر لفائدتنا، ونحن مأمورون باستثماره وعمارته. وقد حملنا ا رسالة الخلافة في الأرض، ولا سبيل لتحمل أعباء الخلافة ما لم نوف تلك المهمة حقها، من حيث التأمل والبحث والاستنتاج لمختلف العلوم التي يؤدي إليها التفكر والإبداع.

٣. إن ا سبحانه وتعالى جعل لنا هذا الوجود ليكون نبراسا نصل منه إلى فهم ما وراء المادة، وإلى معرفة سبب وجود هذا العالم. فهو جسر موصل إلى إدراك الحقيقة الكبرى والدلالة عليها من خلال آثارها.فكل موجود يشهد بأن هذا الكون معجز من الذرة إلى المجرة.

٤. إن عالم المادة يخضع إلى نواميس مطردة وسنن كونية معلومة، لا يدركها إلاّ من ألم بها من بابها، وأخذ بها من مصدرها الأساسي، ألا وهو الوحي والعقل. والخلل كل الخلل الانقياد للعقل وحده، فهو محل الزلل، ومحجوب عن الإحاطة بالحقيقة، لأنه يتأثر بالظروف المحيطة به، سياسية أو اقتصادية أو ذاتية، فتمنعه بعض هذه الظروف من الإحاطة بالقضايا البحثية المعروضة على بساط الدرس والتأمل.

يقول عبدالكريم الخطيب[٢٩]: «.. والحق أن شهادة العقل عن عالم ما وراء الحس شهادة بعيدة عن الحقيقة، إذ العقل في هذا الموقف لا يشهد عن علم ولا يخبر عن عيان، وإنما يشهد بما يقع في الوهم وما يتصيده الخيال، ولقد أجرت الإنسانية العقل في هذا الميدان.. قديما وحديثاً فلم تبلغ به غاية ولم تحقّق به مطلباً.. وقد أصبح من الحقائق المعتمدة في الفلسفة أن العقل لن

يدرك كنه الوجود سواء الظاهر منه أو الباطن، وإنه إن أدرك شيئاً من عالم المادة لا يدرك إلا بعض الظواهر التي تلوح على سطحها، أما أعماقها وأغوارها فلا يصل إلى شيء منها». وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: {وَلَكِن أَكْثَرَ الناسِ لاَ يَعْلَمونَ. يَعْلَمونَ ظَاهِرا مِنَ الْحَيَاةِ الدنيا وَهمْ عَنِ الآخِرَةِ همْ غَافِلُونَ}[٣٠].

٥. إن هذا الوجود متغير يتعاقب عليه الحدوث. فهو كما يعرضه القرآن الكريم تجري على مسرحه حوادث، ويجري فيه تبدل وتغير، ويتميز بالحركة، وتنتقل حوادثه من طور إلى طور. وإليك بعض آيات القرآن تحدد هذه الظاهرة بوضوح. قال تعالى: {وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُل زَوْجٍ بَهِيجٍ}[٣١]. وقال: {أَلَمْ تَرَ أَن اللهَ يزْجِي سَحَابا ثُم يؤَلفُ بَيْنَه ثُم يَجْعَلُه ركَاما فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرج مِنْ خِلَالِهِ}[٣٢]. وقال: {وَسَخرَ الشمْسَ وَالْقَمَرَ كُل يَجْرِي لأَجَلٍ مسَمى}[٣٣]. وقال: {وَالشمْس تَجْرِي لِمسْتَقَر لهَا ذَلِكَ تَقْدِير الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدرْنَاه مَنَازِلَ حَتى عَادَ كَالْعرْجونِ الْقَدِيمِ. لا الشمْس يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا الليْلُ سَابِقُ النهَارِ وَكُل فِي فَلَك يَسْبَحونَ}[٣٤]. وقال: {وَسَخر لَكُم الشمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَين وَسَخرَ لَكُم الليْلَ وَالنهَارَ}[٣٥].

فهذا الكون في تغير مستمر تطغى عليه ظاهرة الحدوث، وتحكمه سنن إلهية يعرفها كل من ألم بها وأخذ بنواصيها: فالموجودات في تغير مستمر، وفي حركة دؤوب، وفي ذلك بيانات واضحة تحكم هذا التغير، وسنن إلهية تنظم هذا الوجود وتدل على عظمة ا عز وجل.

ثانياً: الوجود الغيبي:

أ- مفهومه:

- لغة: الغيب في اللغة[٣٦]: كل ما غاب عنك أو هو كل ما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب، وغاب الأمر عني غيباً وغيوباً. وسمعت صوتاً من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه، والغيب خلاف الشهادة، وغيبه غيابة أي دفن في قبره، وامرأة مغيب: غاب بعلها، وفي الحديث عن جابر بن عبدا قال: «كنا مع رسول ا صلى ا عليه وسلم في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال: أمهلوا حتى ندخل ليلاً (أي عشاء) كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة»[٣٧].

والغيبة من الاغتياب قال تعالى: {وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً}[٣٨]. إذا وقع المرء في غيره من الكلام وكان الكلام صدقاً فإن كان كذباً فهو البهتان.

والغيب من الأرض ما غيبك وجمعه غيوب، وغيابة كل شيء قعره، وقد ورد ذلك في قصة يوسف عليه السلام قال تعالى: {وَأَلْقُوه فِي غَيَابَةِالْجب}[٣٩]. والغابة الأجمة ذات الشجر المتكاثف لأنها تغيب ما فيها والجمع غابات وغاب.

- اصطلاحاً: اختلف في تعريف الغيب في الاصطلاح، فقد عرفه الراغب «بأنه ما غاب عن الحاسة وعلم الإنسان»[٤٠].

وعرفه ابن العربي بأنه «ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر»[٤١]. وعرفه التهانوي بأنه «الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس، ولا تقتضيه بديهة العقل» [٤٢].

ولكل من هذه التعريفات منحى قد اتجه إليه، فالأول أكّد على الغيبة عن الحس وعن الإنسان، بينما رأى ابن العربي أنه الغيبة عن الحواس، وإدراك الوجود الغيبي لا يتم إلا بالخبر. في حين رأى التهانوي أن الغيب هو ما لا تقتضيه بديهة العقل، بينما الوجود الإلهي مما تقتضيه بديهة العقل عندما تكون صافية من الشوائب الاجتماعية والنفسية والفكرية.

عالم الغيب في القرآن والسنة:

قدم الإسلام، من خلال مصدريه الأساسيين الكتاب والسنة، منهجاً كاملاً عن عالـم الغيب حتّى يكون المسلم على بيـنة منه، فلا يحتاج إلى الجري وراء حقائق غيبية يستحيل إدراكها عقلياً، ولو حاول إدراك هذه الحقائق من غير مصدريها لضل وتاه وخبط في فهمها خبط عشواء. لذلك كان التعويل في معرفتها على الوحي.

عالم الغيب في القرآن:

وقد تحدث القرآن الكريم في آيات كثيرة وفي موضوعات متعددة عن الغيب، تتبوأ المنزلة الأولى في هذا المجال سورة البقرة التي تعد من سنام القرآن، وهي أول سورة نزلت في المدينة، وقد افتتحها ا سبحانه وتعالى بأربع آيات في صفات المؤمنين كان في مستهلها صفة الذين يؤمنون بالغيب. قال تعالى: {الم. ذَلِكَ الْكِتَاب لاَ رَيْبَ فِيهِ هدى للْمتقِين. الذِينَ يؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيقِيمونَ الصلاةَ وَمِما رَزَقْنَاهمْ ينفِقُون}[٤٣].

وهكذا فإن الميزة الأولى للمتقين هي الإيمان بالغيب، فهو العتبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس[٤٤]. وفرق بين من يعيش ضمن نطاق المحسوسات وينحصر في هذا الحيز الصغير، وبين من يعيش في الكون الكبير، ويعتقد أن وراءه حقيقة أكبر منه، هي التي صدر عنها واستمد من وجودها وجوده. حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول. وهنا يتجلى البعد الفكري والتربوي للإيمان بالغيب، فهو يوسع نظرة المؤمن لامتيازه بالسعة والشمولية. كما ورد الحديث عن الغيب في القرآن بصيغ أخرى، قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللّه لِيطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ}[٤٥]. وقال: {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ... }[٤٦]. وكما قال عز وجل: {قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعا وَلاَ ضَرا إِلا مَا شَاء اللّه وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسنِيَ السوء إِنْ أَنَاْ إِلا نَذِير وَبَشِير لقَوْمٍ يؤْمِنُونَ}[٤٧]. وكقوله: {عَالِم الْغَيْبِ فَلا يظْهِر عَلَى غَيْبِهِ أَحَدا ً}[٤٨]. وكقوله: {وَلِلّهِ غَيْب السمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يرْجَع الأَمْر كُله}[٤٩]. وكقوله سبحانه {وَعِندَه مَفَاتِح الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمهَا إِلا هوَ وَيَعْلَم مَا فِي الْبر وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَة إِلا يَعْلَمهَا وَلاَ حَبة فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مبِينٍ}[٥٠].

قال القرطبي: في الآية استعارة عن التوصل إلى الغيوب كما يتوصل بالمفتاح إلى المغيب عن الإنسان[٥١]. وكقوله عز وجل: {قُل لاَ يَعْلَم مَن فِي السمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا الله}[٥٢]. قال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة: «عبر بالمفتاح لتقريب الأمر إلى السامع، لأن كل شيء جعل بينك وبينه حجاب فقد غيب عنك، والتوصل إلى معرفته في العادة من الباب فإذا أغلق احتيج إلى المفتاح»[٥٣].

وفي تفسير المنار: صاحب الاعتقاد بالغيب: «واقف على طريق الرشاد وقائم على أول النهج، لا يحتاج إلاّ إلى من يدلّه على المسلك، ويأخذ بيده إلى الغاية. فإن من يعتقد بأن وراء المحسوسات موجودات يصدق بها العقل، وإن كانت لا يأتي عليها الحس إذا أقمت له الدليل على وجود فاطر السموات والأرض المستعلي عن المادة ولواحقها، المتصف بما وصف به نفسه على ألسنة رسله، سهل عليه التصديق وخفّ عليه النظر في جلي المقدمات وخفيها، وإذا جاء الرسول بوصف اليوم الآخر أو بذكر عالـم من العوالم التي استأثر ا بعلمها، كعالـم الملائكة مثلاً لم يشق على نفسه تصديق ما جاء به الخبر بعد ثبوت النبوة؛ لهذا جعل ا سبحانه هذا الوصف في مقدمة أوصاف المتقين الذين يجدون في القرآن هدى لهم»[٥٤].

عالم الغيب في السنة:

- كما ورد الحديث عن الغيب في السنة. فقد روى أبو هريرة رضي ا عنه قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: «خمس من الغيب لا يعلمهن إلا ا ، ثم قرأ: إن ا عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت، إن ا عليم خبير»[٥٥]. وفي حديث ابن مسعود: «أعطي نبيكم علم كل شيء إلا مفاتح الغيب»[٥٦].

- وفي الحديث الشريف قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: ما أصاب أحداً قط هم ولا حزَن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب ا همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً فقيل يا رسول ا : ألا نتعلمها؟ فقال: بلى، ينبغي لمن يسمعها أن يتعلمها»[٥٧].

- وفي حديث أبي مجلز قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها، فأنكروا ذلك؛ فقال: ألم أتم الركوع والسجود.. قالوا: بلى، قال: أما إني قد دعوت فيهما بدعاء كان رسول ا صلى ا عليه وسلم يدعو به: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كان الوفاة خيراً لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة..الحديث»[٥٨].

وقد عدت الأحاديث عن الغيب علماً له خصائصه ومميزاته، وقد استأثر ا بهذا العلم وجعله عنوان التقوى ورمز الإيمان.

ب- أقسام الغيب:

قسم العلماء الغيب إلى أقسام منها:

القسم الأول: الغيب المطلق:

سمي كذلك لأنه مطلق عن القيد، وهو غيب من جميع الوجوه، حيث خلقه ا تعالى غيباً مكنوناً لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى.

وفي ذلك يقول ا تعالى: {قُل لا يَعْلَم مَن فِي السَمَاوَاتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا الله}[٥٩]. أي إن أحداً من خلقه لا يعلم الغيب المطلق. وقال تعالى: {عَاِلم الْغَيْبِ فَلاَ يظْهر عَلَى غَيْبِهِ أَحَدا. إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رسول}[٦٠]. فذكر في هذه الآية أنه يطلع من ارتضاهم من الرسل على غيبه، فالإظهار على الغيب لا يعني علم الغيب. فإذا كان المراد بالغيب هو الغيب المطلق يكون التعبير عن ذلك بالإظهار أو الإطلاع لا بالعلم. لأن العلم بالغيب المطلق من صفات ربنا الخاصة به تبارك وتعالى.

قال أبو السعود في تفسيره: «الغيب هو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منها ابتداء بطريق البداهة، وهو قسمان: قسم لا دليل عليه، وهو الذي أريد بقوله سبحانه وتعالى: {وَعِندَه مَفَاِتح الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمهَا إِلا هوَ}[٦١]. وقسم نصب عليه الدليل، وأدلتها آثارها من الوحي والعقل» [٦٢]. ومن الغيب المطلق النبوة والرسالة، ونزول الكتب على الرسل، واليوم الآخر.

القسم الثاني: الغيب النسبي أو الإضافي:

الغيب النسبي أو الإضافي هو ما كان من عالم الشهادة، وكان غيباً بالنسبة والإضافة إلى بعض الخلق دون بعض، وذلك باختلاف الزمان والمكان وما يستخدم في الوصول إليه، أي أن غيْبيته لم تكن صفة لازمة له إنما هي صفة نسبية أو إضافية. وأوضح تقسيم الغيب صاحب تفسير المنار فقال: «والغيب قسمان: غيب حقيقي مطلق، وهو ما غاب علمه عن جميع الخلق حتى الملائكة. وغيب إضافي: وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض، كالذي يعلمه الملائكة من أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر مثلاً، وأما ما يعلمه بعض البشر بتمكينهم من أسبابه، واستعمالهم لها، ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب، أو عجزهم عن استعمالها، فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب ا ، وهذه الأسباب منها ما هو علمي كالدلائل العقلية والعلمية، فإن بعض علماء الرياضيات وغيرها يستخرجون من دقائق المجهولات ما يعجز عنه أكثر الناس، ويضبطون ما يقع من الكسوف والخسوف بالدقائق والثواني قبل وقوعه بالألوف من الأعوام. ومنها ما هو عملي كالتلغراف الهوائي أو اللاسلكي الذي يعلم به المرء بعض ما يقع في أقاصي البلاد، وأجواز البحار التي بينه وبينها ألوف من الأميال، ومنها ما قد يصل إلى حد العلم من الإدراكات النفسية الخفية كالفراسة والإلهام، وأكثر هذا النوع من الانكشاف لوائح تلوح للنفس لا يجزم بها إلا بعد وقوعها»[٦٣].

وهذا القسم الثاني من الغيب تحته ثلاثة أقسام بحسب الزمان:

أقسام الغيب بحسب الزمان:

أولاً: غيب الماضي:

كالأحداث التاريخية الماضية التي لم نشهدها، فقصص الأنبياء والحضارات التي سادت ثم بادت وغيرها ممن لم نشهد أحداثها تعد غيباً ماضياً.

ثانياً: غيب الحاضر:

وهو ما كان من عالم الشهادة واقعاً في الزمن الذي أنت فيه كتسجيل الملائكة للأعمال ووجود الجن، كل هذه الموجودات تعيش في عالمنا، ولكن لا نشاهدها فهي من غيب الحاضر.

ثالثاً: غيب المستقبل:

وهو ما سيحدث من الحوادث بعد اللحظة التي هي الزمن الحاضر، وهو شبيه في غيبته بالغيب المطلق لتوغله في الغيبية.

وأوضح مثل له: الساعة، وهي أمر لا يعلمه إلا ا . وأما ما أخبر به الأنبياء فذلك إطلاع ا تعالى لهم عليه وليس استقلالاً منهم، وأما ادعاء «علم المستقبل». فهو في حقيقة الأمر استقراء للأحداث وضرب من الأقيسة والاستنتاجات التي تقوم بها معاهد الدراسات المستقبلية. وهي مجرد توقعات أو نتائج منطقية لمقدمات معقولة، وهي احتمالية.

ج - التكليف بالإيمان بالغيب:

إن الإيمان بالغيب أصل من أصول العقيدة الإسلامية والمسلمون مكلفون بالإيمان به، ولكن لماذا لم يكلفنا ا سبحانه وتعالى بالتدبر في عالم الغيب وبالتفكير فيه؟ إن ا لم يكلفنا بالتدبر في عالم الغيب لأن العقل الإنساني لو كلف بالبحث فيه لضل وتاه، ولذلك كان مصدره محدداً والطريق واضحة القصد بينة المرامي مسددة الأهداف. فالوحي هو الذي يحدد الغيب ويرسم له ضوابطه وأهدافه القريبة والبعيدة.

وعالـم الغيب والشهادة: عالمان متكاملان كلاهما يكمل الآخر أو عالم واحد على مرحلتين: عالم الشهادة المكشوف الواضح الذي نراه بالعين وندركه بالعقل، وعالـم الغيب الذي لا تصل إليه أبصارنا وأسماعنا القاصرة المحدودة الذي عرفناه عن طريق الوحي وهدتنا إليه الرسالات السماوية.

د- أمثلة للوجود الغيبي:

إن أمثلة الوجود الغيبي عديدة ومتنوعة يصعب عدها، ويعود مرجعها إلى أركان الإيمان الستة وفي مقدمتها الألوهية، وما يتعلق بها من الصفات، ونشأة الكون، وماهية الحياة، وماهية العقل، وماهية الروح، والخوارق، والنبوة وما يتصل بها من الوحي والمعجزات، وعذاب القبر والبرزخ، والسماوات السبع، والقضايا الغيبية المتنوعة، وكل شأن يتعلق بالآخرة من الجنة والنار، قال تعالى: {تَلْفَح وجوهَهم النار وَهُمْ فِيهَا كَالِحونَ}[٦٤]، وكمثل الحساب والصراط، وقيام الساعة، قال سبحانه: {يَوْمَ تَشْهَد عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجلُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٦٥]، والميزان للأعمال والحشر، والجن والملائكة، قال تعالى: {قَالَ يَا أَيهَا المَلأُ أَيكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مسْلِمِين. قَالَ عِفْرِيتٌ منَ الْجِن أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مقَامِكَ وَإِني عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِين. قَالَ الذِي عِندَه عِلْم منَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَد إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَما رَآه مسْتَقِرا عِندَه قَالَ هَذَا مِن فَضْل رَبي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُر أَمْ أَكْفُر وَمَن شَكَرَ فَإِنمَا يَشْكُر لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِن رَبي غَنِي كَرِيم}[٦٦].

وقال عز وجل: {حَتى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النمْل قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيهَا النمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنكُمْ سلَيْمَان وَجنُوده وَهُمْ لَا يَشْعرونَ}[٦٧]. وسائر الخوارق والسمعيات التي في كتاب ا العزيز وسنة نبيه الكريم مثل انفلاق البحر لموسى وقومه، وانفجار اثنتي عشرة عيناً من الحجر بضرب موسى، قال تعالى: {وَإِذِ اسْتَسْقَى موسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْه اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُل أُنَاسٍ مشْرَبَهمْ كُلُواْ وَاشْرَبواْ مِن رزْق اللهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مفْسِدِينَ}[٦٨]. وقال: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى موسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هيَ تَلْقفُ مَا يَأْفِكُون...}[٦٩]. ومسخت فرق من بني إسرائيل قردة خاسئين: {فَقُلْنَا لَهمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[٧٠]، وتحول النار برداً وسلاماً على إبراهيم: {قُلْنَا يَا نَار كُونِي بَرْدا وَسَلاما عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[٧١].

ومنطق الطير الذي علمه سليمان، وفهمه لحديث النمل، ومطاوعة الرياح له، وسيرها به غدوها شهر ورواحها شهر، وانتقال عرش ملكة في طرفة عين، وقصة ذي النون، قال تعالى: {فَالْتَقَمَه الْحوتُ وَهوَ مليم. فَلَوْلا أَنه كَانَ مِنْ الْمسَبحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يبْعَثُونَ}[٧٢]، وولادة عيسى الخارقة للعادة، وهلاك أصحاب الفيل بحجارة من سجيل، وإسراء الرسول من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعروجه منه إلى السماء، إلى غير ذلك مما زخر به القرآن الكريم صراحة في سور كثيرة ومواضع عديدة، ولا تقبل في ميزان العقل البشري إلا إذا احتكم إلى الإيمان

بالغيب. قال الله تعالى موضحاً نماذج من الغيب احتفظ بسرها: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[٧٣].

وقد ذكر القرآن من صفات الله تعالى وأفعاله ما لا يدركه العقل ولا يصدقه إلا بالإيمان بالغيب، ومن الوقائع والحوادث وأخبار الرسل وما أجري على أيديهم من المعجزات، وما أظهر لهم من الآيات ما لا يطيقه إلا الإيمان بالغيب، وما لا يقبل التعليل العقلي ولا التطبيق بنواميس الطبيعة. لأن هذه المعجزات وتلك الخوارق لا تنسجم إلا مع منهج الإيمان الذي شعاره التصديق بأخبار نصوص الكتاب والسنة، ولأن الإيمان الذي يقوم على الحس والتجربة ويسير مع المألوف، ويتقيد بالسنن الكونية والنواميس الطبيعية والحوادث التاريخية ويلجأ دائماً إلى شهادة العقل، والحواس الخمس، وقوانين العلوم الرياضية والمحسوسات، إنما هو إيمان مقيد مغلول، وإيمان محدود مشروط، لا يصلح للاعتماد ولا يساير الأديان، ولا يتفق مع دعوة الأنبياء وما يطلبونه من تصديق مطلق، وثقة دائمة، وسرعة في الانقياد والطاعة، وتفانٍ في الجهاد والتضحية، ولا يصلح في الحقيقة لأن يسمى إيمانا، إنما هو علم وتطبيق. وصاحب هذا الإيمان (الطبيعي) في عناء وبلاء مع الكتب السماوية والأديان الإلهية، وفي صراع دائم مع روح الديانات ومطالبها؛ وهو كما قال جلال الدين الرومي[٧٤]: «رجل خشبة، لا تطاوع صاحبها في سرعة المشي ورفع الخطى بحرية وكثرة التنقلات والاتجاهات». وهو إما أن يلجأ إلى التحريف أو التأويل البعيد وإما أن يضطر إلى الإنكار والإلحاد، بناء على الفجوة الواسعة بين هذا العلم المادي والحقائق التي جاء بها الرسل ونطقت بها الكتب، وبين ما آمن به من المحسوسات والماديات والأصول التي هي مبنية على استقراء محدود واستنتاجات ضيقة، وأين هي من ذلك الوجود الفسيح في عالم الغيب؟

هـ - خصائص عالم الغيب من منظور الإسلام:

الوجود الغيبي يمتاز بحقائق ومميزات منها:

١) الوجود الغيبي وسيلة علمنا به الوحي وليس العقل ولا الحس ولا أي أداة من أدوات المعرفة المنهجية.

٢) الوجود الغيبي غير خاضع للتأمل بالعقل، لأن العقل لو تدبر العالـم الغيبي بعيداً عن الوحي لضل وتاه. وتزيد بما ليس في النص. قال السيوطي: «أما ما يجري مجرى الغيوب كقيام الساعة وكل متشابه في القرآن فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، بل يقتصر فيه على النص»[٧٥].

٣) عالم الغيب رحب فسيح لذلك بوأه القرآن الكريم المرتبة الأولى فقال: {وَلِلهِ غَيب السمَوَاتِ والأرضْ}[٧٦]، وقال: {عَالِم الغَيْبِ فَلا يظْهر عَلَى غَيْبِهِ أَحَدا. إلا مَن ارْتَضَى مِن رسولٍ فَإنه يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا}[٧٧]، لأن الغيب أصل وعالم المادة فرع والأصل يسبق الفرع الذي عادة ما يكون محدوداً ولا يبلغ إلى رحابة الأصل واتساعه.

٤) عالـم الغيب مقدم على عالـم الشهادة لأن عالـم الغيب أشمل وأعظم وأهم، ومن كانت هذه صفاته يتبوأ مكان الصدارة.

٥) عالم الغيب تحكمه سنن غير سنن عالم الشهادة فهو لا يخضع للسنن المنطقية المتعارف عليها في كثير من القضايا، بل وأحيانا تظهر الحقائق بشكل عجيب قد لا يصدقها العقل المادي، ومعجزات الأنبياء وخوارق العادات التي ظهرت على أيديهم نموذج دال على صحة ذلك، ومنطق الإيمان هو الذي يحكُمها. ولهذا أثنى الله تعالى على المؤمنين بالغيب في آيات كثيرة في كتابه الكريم: {مَنْ خَشيَ الرحْمَنَ بِالغَيبِ وجَاءَ بِقَلبٍ منيب}[٧٨]، وقال جل شأنه: {إن الذينَ يَخشَوْنَ رَبهم بِالغَيبِ لَهم مَغفِرَةٌ وَأجر كَبير}[٧٩]. فالمؤمنون بهذا العالم الخفي لهم المكانة الفُضلى والمرتبة العليا في الإسلام. وكفانا من عالم الغيب ما أطلعتنا عليه النصوص ففيها الغنى عما عداها من الروايات الكاذبة والإسرائيليات الزائفة. والمنهج الفريد هو الذي دلنا عليه الوحي ففيه الغنى والإقناع والاطمئنان القلبي والعقلي.

لماذا لم يكشف الله لنا الغيب؟

لم يكشف الله الغيب امتحاناً منه لنا وابتلاء. ولو كشفه لسقط أمر التكليف ولفقدت الحياة سرها وبطلت الحكمة وانتفت المقاصد العامة للدين. ولو كشف الله لنا الغيب لخلع الناس صفات الإقبال على العمل، بل إن بعضهم يركن إلى الكسل والخنوع لأن قدره قد كشف له، فيعرف رزقه وأجله؛ وقد يرتكب الجرائم بناء على هذا الاطلاع، وقد يفعل ما لا ينسجم مع الحياة الإنسانية التي رسمها الله بحكمته وسطرها وفق إرادته وقدرته وعلمه سبحانه وتعالى.

ثم إن العلم بالغيب عن طريق إدراك الإنسان بحسه أو عقله غير متحقق نظرا لكون عالم الغيب فوق طاقات الإدراك الحسي والعقلي، وهما وسيلتان للإدراك الإنساني وجدتا لتتعامل مع كثير من مظاهر الكون المادي المتفق مع الإنسان في ماديته وعناصره، أي أن الإدراك الحسي يناسب فقط الكون المادي، أما ما وراءه

فوسيلته الخبر طالما كنا في الدنيا، وعندما نرحل إلى عالم الآخرة فإنه يصير في كثير من حقائقه مشاهدا ومدركا لنا إما بكشف الله له أو بقوة إدراكنا.

الفارق السيكولوجي بين المؤمن بالغيب وغيره:

إن المؤمن بالغيب هو ذلك المؤمن بقدرة الله المطلقة، المصدق للرسل في كل ما جاؤوا به ونطقوا به، فهو في هدوء وانسجام مع ما جاء به الدين من الغيبيات، جاهد وفكر وصدق ثم آمن. ومنطق الإيمان أعطاه الراحة النفسية والاطمئنان الدائم واليقين الحقيقي، وهو دليل على قوة الثقة بالمخبر وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. أما العلم الذي يقوم على الحس والتجربة ويتقيد بالعقل وينكر ما عداهما فهو علم محدود لا يدين إلا بالمألوف السطحي والمعتاد المادي، ولا يتفق مع دعوة الرسل التي تتطلب التصديق والطاعة والإذعان والاستسلام لأوامر الله تعالى ونواهيه.

وفرق بين النفسية الأولى والثانية، نفسية المؤمن الذي أخضع عقله للصحيح من المنقول والثابت عن الرسول، وبين نفسية الرجل الذي يحاول أن يخضع الكتاب وما جاء به الرسل لعقله وعلمه القاصر النسبي، ويسلط عليه التأويل البعيد. قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ. رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}[٨٠]. وبعبارة أخرى المؤمن منسجم مع ذاته لأن اعتقاده بعالم الشهادة أمر يتفق مع شطره المادي، وإيمانه بعالم الغيب أمر آخر ينسجم مع سر روحه الذي هو من أمر الله تعالى، فالمادة والروح في الإنسان قد انسجمتا مع التكوين الإنساني، بخلاف النزعة المادية التي حصرت الأمر عند المادة فحسب فبقيت الروح ظامئة إلى ما يغذيها.

المنهج الأمثل في التعامل مع الغيب:

وفي سبيل ألا يضل الإنسان في عوالم الغيب، وضع الله تعالى في كتابه الكريم الحقائق النهائية التي يحتاجها كي لا يرهق الإنسان نفسه وفكره في هذا المجال، دون جني أية ثمرة ليتفرغ إلى التفاعل مع الكون والاستفادة من الزمن لإنجاح عملية الاستخلاف الإلهي.

وكلما ادعى العقل الإنساني المعرفة المطلقة في حلّ أسرار الغيب ضلّ وتاه وانتهى إلى الإلحاد والانحراف، وارتمى في أحضان المادية عبر التاريخ. وكلما تعمق

البحث في عالَـم الغيب ازداد بعداً عن الحقيقة وزاغ وضلّ، مثل من ينظر إلى الضوء القوي، كلما نظر إليه ازداد الضوء وغاب الإبصار بحكم الأشعة القوية. وكلما انشغل العقل في كشف أسرار عالَـم المادة، أنتج وأخصب وأثمر في هذا الإنتاج. والدليل على ذلك ثمرات الحضارة المادية عبر التاريخ، التي حقق بها الإنسان جزءاً من خلافته على الأرض.

ولقد زود ا الإنسان بالطاقات التي تحقق له هذه الخلافة على أكمل وجه على الأرض، وما يتعلق بها من القوانين المادية والمعنوية التي حوله، واستنتجها من العوالم المادية المحيطة، وقد أرشده إليها الوحي. وإذا وجهت طاقات الإنسان المادية والمعنوية إلى ولوج مجالات أخرى لا تتصل بتحقيق الخلافة فإنه يتيه فيها ولا يستطيع أن يتوصل إلى اليقين. وأي تحرك للعقل الإنساني في غير ما كُلفَ به لا يكون مجدياً ولن يوصل إلى المراد. ومسيرة العقل في القضايا الغيبية لا تخلو من الاضطراب، ذلك ما تكشف عنه حياة الفلاسفة في هذا الميدان[٨١] والمفكرين الذين خرجوا عن المسار الذي حدده ا تعالى للإنسان.

سبب ضعف الإيمان بالغيب في عالَـمنا المعاصر:

إن اللافت للنظر هو ضعف الإيمان بالغيب في عالَـمنا المعاصر، وسبب ضعف الإيمان بالغيب في عالمنا المعاصر يعود أساساً إلى شيوع الحضارة المادية بما فيها من فكر لا يؤمن إلا بما تدل عليه التجربة، ولا يقدس إلا هذا المنهج الذي برز مع النهضة العلمية التي طرحت جانباً أساطير الكنيسة وخرافاتها. يقول هوبز: «إن الأشياء المادية وحدها هي المحسوسة بالنسبة لنا، فأنا لا أستطيع أن أعلم شيئا عن وجود ا . فوجودي هو المؤكد وما عداه خرافة وخيال لا أصدقه»[٨٢]. وهذا الفكر شائع قديما وحديثا. والخطأ البارز فيه هو التعميم، إذ عمم الناس هذا الحكم على جميع الأديان، وهو تعميم خاطئ، لأن الإسلام له منهجه المتميز في هذا الميدان، فخطه بين، ومنهجه محكم لا لَبْسَ فيه. ويبدو أن الفكر الإسلامي المعاصر: «قد قصر تقصيراً كبيراً في الدعوة إلى الإيمان بالغيب بإيمان وحماسة، وتساهل في دعمه وتغذيته والإلحاح عليه. وقد اتجه بعض كتابنا المعاصرين إلى صياغة عقلية جديدة للدين، يتفق فيها مع العلم الحديث، فجنى بذلك على روح الإيمان بالغيب حتى اعتاد الشباب المثقف أن لا ينشط إلا للمألوف المقرر، والواقع المتكرر في الحياة الطبيعية. أما ما شذ عنه وخرج عليه، واحتاج في تصديقه إلى إيمان أعمق وأوسع، واعتماد على صدق المخبر، فإنه لا يقبله إلا على مضض وجهد»[٨٣] .

هكذا يبدو موقف الشباب من الإيمان بالغيب، موقف الحائر أمام قضية تعد حداً فاصلاً بين الإيمان والكفر. لذا كان علينا تناول هذه القضية، قضية الإيمان بالغيب، بالبحث والتمحيص قبل الخوض في أي أمر آخر من أمور العقيدة فهي قضية أساسية ينبغي أن نستهل البحث في العقيدة بها ومناقشة عناصرها وفروعها.

العقل والغيب:

الإنسان دائم التشوق إلى معرفة الغيب. ومنذ وجد على ظهر هذا الكوكب وهو يحاول الاستكشاف. لذلك ورد الحديث عنه في الكتب السماوية وبرزت آثاره في الحضارات الإنسانية، وتجد إشارات إليه لدى مختلف الاتجاهات الفكرية والفلسفية. وليست مسألة الغيب مقصورة على ديانة معينة وفكر معين، بل قد خاض فيها الفكر الغربي، وأقر فلاسفته بعدم إمكان الوصول إلى إدراك الأمور الغيبية،في حين يرى أنصار المذهب العقلي أن العقل البشري طاقة لا تحدها حدود[٨٤] تنفذ إلى شتى الحقائق.

ولعل أشهر من خاض في الغيب والعقل «عما نويل كانط» في كتابه «نقد العقل الخالص» وبين كيف أن العقل رغم قدرته عاجز عن إدراك هذه المسائل، وضرب لذلك مثلاً ببدء الزمان ونهايته[٨٥].

وقال جون لوك: «لو بحث الناس في قواهم بحثاً جيداً، وكشفوا عن الأفق الذي يفصل بين الأجزاء المضيئة والأجزاء المظلمة، وميزوا بين ما يمكن فهمه وما لا يمكن، لاطمأنوا إلى جهلهم في الجانب المظلم ورضوا به»[٨٦].

وهكذا تعددت الآراء والمذاهب الفلسفية حول قدرة العقل على إدراك كنه الحقيقة فتباينت وتعارضت، وأظهرت تجربة الاعتماد على العقل والثقة بكل أحكامه التي يقدمها إلى الناس أنها فلسفات أو تصورات أو تأملات أو أحكام عقلية تولّد تناقضات لا حصر لها، وكشفت هذه التجربة عدم كفاية العقل وحده للحكم على كل شيء، وكشفت أنه كثيراً ما يقع فريسة أهواء النفوس وشهواتها وغرائزها ونزعاتها، وينساق وراء المصالح الخاصة، فينحرف عن الحقيقة ويزين الباطل[٨٧].

ولابن خلدون مقالة في العقل وحدوده وعدم كفايته في الإحاطة بإدراك الموجودات يقول: «ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله، وسفه رأيه في ذلك، واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها، والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه، ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع

والمعقولات، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات، وكذلك الأعمى أيضاً يسقط عنده صنف المرئيات، ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به، لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه الأصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم، ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعقولات وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذا فلعل هناك ضرباً من الإدراك غير مدركاتنا، لأن إدراكاتنا مخلوقة محدثة، وخلق ا أكبر من خلق الناس، والحصر مجهول والوجود أوسع نطاقاً من ذلك وا من ورائهم محيط، فاتهم إدراكك ومدركاتك في الحصر، واتّبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك وأعلم بما ينفعك؛ لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطيق أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير دقيق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط با وصفاته فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه»[88]. فالعقل ميزان دقيق صغير، لكنه لا يزن الأطنان من الأحجام الثقيلة، لأن قدراته محدودة ومحكومة بظروف الزمان والمكان. وبمختلف ألوان المحيط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيره.

هل يستطيع العقل أن يرفض الغيب؟

وعجز العقل عن إدراك حقيقة الألوهية ليس أمراً غريباً لأن العقل جزء من الكون، والجزء لا يحيط بالكل بل قد يستدل عليه ببعض آثاره. فالحقيقة العقلية لا يتجاوز علمها الكائنات التي تمر بها عبر الحواس والسنن والقوانين المترتبة عنها سواء كانت طبيعية أو اقتصادية أو اجتماعية.

ولو كان كلّ ما غاب عن حسك وهماً باطلاً يجافي العلم ويناقض مكانة العقل، إذاً لكانت سائر دراساتنا التاريخية وهماً باطلا، ولكانت سائر أحكامنا على المستقبل وجميع توقعاتنا الغيبية فيه خرافة يتنزه عنها العقل![89]. وهكذا فإن أكثر المشكلات تعقيداً تلك التي واجهها العقل، والتي كانت شديدة الاتصال بالغيب ذلك العالم غير المنظور، والذي كثرت فيه هزائم العقل لأنه جاوز الحدود. وكثير من الفلاسفة بذلوا كل ما يملكون من ذكاء ثم كانت خاتمة المطاف الإقرار بالعجز عن إدراك ذلك الخضم المليء بالأسرار والذي لا ينفذ العقل إلى اختراق حجبه.

ولقد انتهى أرسطو إلى القول بأن «للعالم مبدعاً لا تدرك صفته العقول من جهة جوهره، وإنما يدرك من جهة آثاره.. وهو الذي لا يعرف اسمه - فضلاً عن شخصه - إلا من جهة أفاعيله وإبداعه»[٩٠]. ورغم وصفه له بهذه الصفات فقد أطلق عليه اسم «المحرك الذي لا يتحرك».

كما انتهى أفلاطون قبله إلى أن إدراك العقل لعالم ما وراء الطبيعة إنما هو نتيجة قياسية ذهنية ترى الوجود قياساً على الموجود، فهو يقول: «والموجودات في هذا العالم - عالم الحس - آثار الموجودات في ذلك العالم - عالم ما وراء الحس - ولا بد لكل أثر من مؤثر يشابهه نوعاً من المشابهة، فالعالم عالمان: عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحية، وعالم الحس وفيه الأشخاص الحسية والصور الجسمانية، كالمرآة المجلوة التي تنطبع فيها صور المحسوسات»[٩١]. وأفلاطون يبرهن على فلسفته من خلال نظرية المثل التي اشتهر بها.

وكذلك شأن فلاسفة الإسلام، رغم النزعة العقلية التي يختصون بها، فإنهم في قضايا الآخرة والألوهية اكتفوا بما ورد في ذلك من النصوص الصحيحة[٩٢]. لأنه لا سبيل للتفلسف في هذا الميدان مع أن بعضهم قد انزلق إلى القول بالمعاد الروحاني منكرا للمعاد الجسماني.

العلم والغيب:

هل يستطيع العلم أن يعرف الغيب؟ إن العلم قد سيطر على ظواهر المادة، وخدم الإنسانية، وجلب لها الخير العميم باكتشافاته التي لا ينكرها إلا مكابر. وهذه العلوم ـ وبخاصة التجريبية ـ هي تلك المعرفة التي تبدو اليوم لكثير من الناس أتم المعارف وأكملها وأعظمها أهمية. وهي الوحيدة التي يستطيع الإنسان أن ينتسب إليها وأن يدعي أنه أحرز فيها شيئاً ذا قيمة جديرة بالتقدير[٩٣]. ومع ذلك فهل سيطر هذا العلم على مختلف الظواهر المادية؟ إن الحقيقة التي لا مراء فيها: هي أن العلم لم يسيطر على جميع ظواهر المادة فجهل كثيراً منها:

إننا ما زلنا نجهل كثيراً من الميكروبات منذ زمان بعيد، أفكان جهلنا موجباً لعدم وجودها أم كانت موجودة في الواقع على الرغم من هذا الجهل! وكذلك القول في الكهرباء قبل اكتشافها، وهكذا مختلف الاكتشافات.. ومن الذي يزعم أنه أحاط بكل هذه العوالم فإن الشواهد على كذبه لا تعد ولا تحصى. والعلم حتى اليوم لم يعرف الروح التي بها الحياة، ولا النور الذي أظهر كل خفي، والعالم كله عجز أيضاً عن

اكتناه الفضاء ومعرفة سعته وأين مبتداه ومنتهاه. وفيه من السيارات ما يكبر المجموعة الشمسية بملايين المرات، وفي المجرة الواحدة وحدها ملايين كشمسنا هذه. ولذلك هناك قاعدة منطقية مشهورة تقول: «عدم العلم بالشيء لا يدل على عدم الوجود». وعندئذ فلا يصح من الوجهة العلمية والمنطقية أن ننفي وجود شيء ما بمجرد جهلنا به وبحقيقته، فما أكثر الأشياء التي كنا نجهلها ولم تقع في حدود معرفتنا. ومع هذا أصبحت فيما بعد حقيقة ثابتة مهماً تؤثر تأثيراً في حياتنا كالجراثيم، ودوران الأرض حول الشمس، والجاذبية والمغناطيس، وهذه كلها أمور لا نشاهدها ولكن نستدل عليها بآثارها، وهي من الحقائق التي لا يختلف عليها اثنان.

وإذا كان هذا العالم المجهول «الغيب» ذا طبيعة غير تجريبية فمن غير المعقول ومن خيانة روح العلم أن نحاول التعرف على هذا العالم الخفي بوسائلنا التي نتعرف بها على عالم الشهادة المنظور وأن نخضعه للمنهج التجريبي، عندئذ فلا بد أن نتبع لهذا المنهج الخفي «عالم الغيب» منهجاً آخر يتفق مع طبيعته غير التجريبية. وهذا المنهج الملائم لهذا النوع من الحقائق سبيله الوحي الذي يقود الإنسان إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

يقول أحد المفكرين المسلمين: «إن قضية العصر الحديث ضد الدين تشتمل على جانبين متناقضين في آن واحد، فبينما يرى العقل الحديث من ناحية أن الدين مجموعة عقائد لا يمكن إخضاعها للتجربة العلمية.. نجد في الوقت نفسه أن مجموعة من مفكري هذا المنهج يدعون أن الكشوف العلمية الجديدة قد أبطلت العقائد الدينية. ونحن نرى أن كلا الاتجاهين مناقض للآخر. فالدين من حيث إنه من المستحيل إثباته مادياً ويتعلق بموضوع غير قابل للإثبات بالتجربة العلمية، فللسبب نفسه يجب أن يكون رفض الدين مستحيلاً أيضاً بناء على تلك المقاييس نفسها»(٩٤).

فطبق المقاييس العلمية لا يرفض الدين ولا يثبت من خلال التجربة: فللسبب نفسه يجب أن نعتمد لإثبات الدين منهجاً مغايراً تثبت به الحقائق الدينية. ولا سبيل لذلك في هذا المجال غير الوحي.

الإنسان والغيب:

الإنسان أي إنسان شخصيته متعددة الجوانب رحبة الآفاق بعيدة الغور يصعب الإحاطة بها، لذلك فشخصية الإنسان تتجاوز مجال الوصف العلمي لمختلف أجزائه. وإن مجموع الدراسات البيولوجية والفسيولوجية والسيكولوجية والاقتصادية لا تكشف لنا حقيقة الإنسان كلها؛ لأن الإنسان يتكون من المادة والروح.

يقول الراغب الأصفهاني: «ولما كان الإنسان جزأين: بدناً محسوساً وروحاً، كان له بحسب كل واحد من الجزأين صورة. فصورته المحسوسة البدنية انتصاب القامة وعرض الظفر وتعري البشرة عن الشعر والضحك، وصورته المعقولة الروحانية العقل والفكر والروية والنطق»[٩٥]. وإذا كان الإنسان روحاً ومادة فلا بد أن يكون جامعاً للغيب والشهادة في تركيبه.

وسبب أزمة الإنسان في العالم المعاصر تتمثل في أنّه فقد منه نصف الحقيقة المتمثلة في الجانب الغيبي منه ووقف عند الشطر المادي، عند من اعتقد أن الإنسان عينة معملية تخضع للتجربة، وهو مادة فحسب. وهذا الوقوف عند الشطر المادي سببَ للنفس القلق والتمزق، وأدى إلى حوادث الانتحار والتفكك الاجتماعي الذي أصاب الإنسان في الغرب، حيث سيطر المفهوم المادي للإنسان، وأُبعد الجانب الروحي، وفسر على أنه لم يخلق ابتداء كما ورد في النصوص الدينية عموما، وإنما قد تطور عن حيوانات أخرى كما تزعم بذلك نظرية التطور.

الفهم الخاطئ للغيب:

هناك تشويه لمفهوم الغيب وانحراف به عن مفهومه الصحيح المستمد من الكتاب والسنة. هذا التشويه يروجه الخبثاء والملاحدة ويقبله السذج، وهو بعيد عن المفهوم السليم للإسلام في نصوصه الصحيحة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة. غير أن هذا الإيمان بالغيب قد أودعه ا أسراراً عجيبة لتربية الإنسان وتهذيبه وتكامل شخصيته، لأن إيماننا بالغيب يجب أن يكون قوة دفع لنا لنزداد تديناً وتمسكاً بإسلامنا ودفاعاً عن مقدساتنا، ونجعل من عالم الشهادة ميدان بحث وعلم وعمل، ونجعل من عالم الغيب قوة دفع وعاملاً هاماً من عوامل التقدم والأخذ بالأسباب دون خوف أو وجل.

ومثلما نغذي أرواحنا ونفوسنا بما يبعثه فينا الإيمان الصادق من اطمئنان ويقين، كذلك نغذي الجانب المادي فينا بما نستمده من عالم الشهادة من قوة واستثمار لمنافعه وسيطرة على ما سخر ا لنا من منافع وخيرات كونية. وعلينا الأخذ في الغيب بالنصوص الصحيحة التي لا مجال فيها للتزيد والبدع التي يرفضها الإسلام الحنيف كما ورد في نصوص الكتاب والسنة.

وكل فهم خاطئ للغيب يضعف العقيدة وينحرف بالإيمان عن مساره الصحيح، ويكون سبباً من أسباب تخلف المسلمين، لأن الدين الصحيح والفهم السليم يورث النفس قوة، ويحفز الهمم، ويدعو إلى الأخذ بالأسباب، فيكون سبيلاً إلى التقدم والازدهار.

أثر الإيمان بعالم الغيب في حياة الفرد:

إن الإيمان بالغيب له المنزلة العليا في الإسلام ، وإن ا تعالى لا يقبل من أحد إيمانا إلا به، ولهذا أثنى على المؤمنين به لما له من آثار جلية في السلوك والمعاملات وفي النظرة إلى الكون والحياة. والإيمان بعالم الغيب يمتاز بفوائد منها:

١) إن الإيمان بعالم الغيب يورث النفس عظمة مستمدة من عظمة ا ، ويجعلها تطمح إلى الوجود الأكبر وتعلو على الوجود الضيق المحدود وترتفع وتحلق في الأجواء الرفيعة. ومن خطأ الفلسفة المادية حصر الوجود الإنساني في بؤرة المادة وتكبيل مباحث العقل فيما يحس ويجرب، بينما حقائق الوجود أرحب وأفسح وأوسع مما نعلم ونرى.

٢) إن عقيدة الإيمان بالغيب تثمر ما يسمى (الوعي الكوني) الذي يؤدي إلى انسجام الإنسان مع الكائنات المحيطة به، حيث التآلف والتعاطف والألفة، فيتوطد قانون التكامل بين المخلوقات على وجه الأرض، وليس هناك فكرة الصراع كما هو الأمر في الفكر المادي القائم على صراع الموجودات.

٣) الإيمان بالغيب يؤدي إلى الطمأنينة التي يشعر بها الإنسان في معركة الحياة وصراعاتها ويجد راحة النفس. وأزمة الإنسان في العصر الحديث تتمثل في أنه فقد نصف الحقيقة، ووقف عند نصفها المادي الجاف فأحست نفسه القلق والتمزق.

٤) إن الإيمان بالغيب أقوى مؤثر في سلوك الإنسان، لأن حياته لا تقوم إلا بالتدين والغيب مقوم أساسي من مقوماته.

٥) إن الإيمان بالغيب يجعل المؤمن يصبر على البلاء ويعلم أنه من مقتضيات إيمانه ومتطلباته، وا عز وجلّ يحب الصابرين ويفرج كرباتهم لقوله تعالى: {إِنمَا يوَفى الصابِرونَ أَجْرَهم بِغَيْرِ حِسَابٍ}(٩٦).

وقال سبحانه: {وَالصابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضراء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هم الْمتقُونَ}(٩٧).

٦) إن الإيمان بالغيب يجعل المسلم في خوف دائم من عذاب ا تعالى، وفي رجاء مستمر لثواب ا عز وجلّ وجزائه. فكأن الخوف والجزاء ماثلان أمامه دائما. فهو لا يعمل إلا لمرضاة ا ، ولا يتجنب أمرا إلا خوفا من عذاب ا .

٧) إن أثر الإيمان بالغيب يظهر جلياً في معاملة المؤمن للناس، قريبهم وبعيدهم، صديقهم وعدوهم مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم. فهو يعاملهم وليس يهدف من وراء ذلك الا ابتغاء مرضاة ا ، وازعه الذي يدفعه إلى هذه المعاملة إيمانه العميق، وليس قوة خارجية مهما كانت عاتية فلن تؤثر تأثير الإيمان بالغيب. وكلما تعمق المؤمن في الإيمان الصحيح بالغيب وجد حلاوة الإيمان وكان عمله ترجماناً لما في قلبه من الصدق والإخلاص والأمانة.

أثر الإيمان بعالَـم الغيب في حياة المجتمع:

١- إن الاسلام وضع الأصول الأساسية للنظام الاجتماعي، وإذا كان المجتمع يريد أن يحافظ على تركيبه ونظامه، فلا بد له من الإيمان بالغيب، إذ إن الأسرة بوصفها شكلاً من أشكال المجتمع لا تتم الصلة المعقولة بين أفرادها بشكل سليم إلا إذا كان أفرادها يؤمنون بالغيب، وها نحن أمام وقائع الأمم التي ابتعدت عن الدين واقتربت من المادة التي عاشت فيها. نجد أن هذه الأمم قد انحلت وفقدت الرباط بين أفرادها، والسبب هو طغيان التفكير المادي.

ومما يحسدنا عليه أهل الحضارة الغربية تماسك الأسرة في البلاد الإسلامية ولحمة النسيج الاجتماعي وقوة الروابط فيه، ويعود هذا أساساً إلى العامل الديني المغروس في نفوس المسلمين، وأساس هذا العامل الخوف من ا تعالى وهو خوف لا تعادله قوة أخرى خارجية على وجه الأرض.

٢- إن العامل الديني أعظم العوامل التي أسست الحضارات، وحركت التاريخ، وعملت على التغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. والغيب أحد أركانه الأساسية. وهو قديم في عوامل التغيير السياسي والبناء الاجتماعي قدم الإنسانية.

وهكذا: فإن الإيمان بالغيب عندما يكون مبنياً على أسس صادقة، وعقيدة سليمة فإنه يكون عنصر دفع إلى الأمام لتزداد الحياة تطوراً وتقدماً وعلماً. وعندما يفهم عالم الغيب فهماً سليماً كما فهمه الصدر الأول فإنه يجعل من عالم الشهادة ميدان بحث وعلم وعمل. فمثلما تتغذى أرواحنا بما يبعثه فينا عالَـم الغيب من إيمان صادق واطمئنان ويقين فكذلك تتغذى حواسنا المادية بما تستمده من عالَـم الشهادة من خلال استثمارنا له وسيطرتنا عليه. وعلينا أن نرفض البدع التي وضعها السفهاء وقبلها السذج وترفضها النصوص الصحيحة. والإنسان إذا فقد الإيمان بالغيب فإنه سيصاب بالاكتئاب والقلق ولا يستطيع أن يكون منتجا فاعلا في مجتمعه ، إيجابياً في التعامل مع الآخرين.

الخاتمة

إن الإيمان بالغيب ركن من أركان عقيدة المسلم وأصل من أصول الإيمان، وواجب مناهجنا التربوية في العالم الإسلامي: إفراد الإيمان بالغيب بالدرس والبحث والاستدلال عليه والبرهنة على الإيمان به في كل قضاياه الثابتة من نصوص الكتاب والسنة.

وإذا كانت اتجاهات فكرية منحرفة قد طغت عليها فلسفة الفكر المادي الإلحادي: قديما وحديثا، فشككت في الغيب ومباحثه، وشككت في الدين وقضاياه، فإن الواجب يدعو إلى إدراج مبحث الغيب في مناهجنا التربوية لمزيد من الدرس والبحث والاستقصاء للمنزلة الهامة التي تتبوؤها هذه القضية قبل غيرها من المباحث، وهي ضرورة اقتضاها العصر لما زخر به من تيارات فكرية منحرفة ذات اتجاهات مادية جارفة.

الهوامش

(١) التفتازاني سعد الدين، شرح العقائد النفسية (مصر: الطباعة المنيرية ، ١٣٢١ هـ) ، ط١ ، ص: ٧.

(٢) أ.د. حلمي عبد المنعم صابر ، قضايا معاصرة في ضوء الإسلام (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ط ١ ، ص: ٢٠.

(٣) محمود زيدان ، وليام جيمس (مصر: دار المعارف ، ١٩٦٥) ط ١ ، ص: ٢٩.

(٤) د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠) ، ص: ٧٧.

(٥) عبد الكريم الخطيب ، القضاء والقدر بين الفلسفة والدين ، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، دون تاريخ)، ط١ ، ص: ١٨-١٩.

(٦) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م) ط ٣ ، ص: ٤١٤.

(٧) فخرالدين الرازي ، محصل أفكارالمتقدمين والمتأخرين (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٨٤) ط ١، ص: ١١٧ ، وانظر (ابن تيمية، درء تعارض النقل والعقل ، تحقيق رشاد سالم (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٩٨٨) ط ١ ، ج: ٨ ، ص: ٣٤.

(٨) التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٩٦) ط١، ج:٢، ص: ١٧٧٦، وانظر: الفارابي، أبو نصر، عيون المسائل (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٩١٠)، ص:٤. وانظر مراد وهبة، المعجم الفلسفي (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨)، ط١، ص:٧٢٥.

(٩) عباس محمود العقاد، موسوعة أعماله الإسلام والحضارة الإنسانية ، (بيروت: دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٠) ، ص:٢٠٨.

(١٠) المرجع نفسه، ص: ٢٠٧.

(١١) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص٢٣٨، ٢٤٤، (مرجع سابق).

(١٢) د. عبدالوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م)، ط١، ص:١٦.

(١٣) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ط٦، ص:٣٥. وانظر: د. محمود حمدي زقزوق، دراسات في الفلسفة الحديثة، (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٩٣)، ص:٣٩.

(١٤) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، (مصر: دار المعارف، ١٩٥٧)، ص: ٤٠٤ - ٤٠٤.

(١٥) المؤمنون/ ٩٢.

(١٦) الغاشية/ ٧١.-١٨-١٩-٢٠.

(١٧) الذاريات/ ٢١.

(١٨) يونس/ ١٠١.

(١٩) الجاثية/ ١٣.

(٢٠) الحشر/ ٢.

(٢١) الحج/ ٤٦.

(٢٢) الأنبياء/ ٤.

(٢٣) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة في باب الحكمة حديث ٤٧٦١، ص٦٠٨، وفي الترمذي في باب الفقه على العباد حديث رقم ٢٦٨٧، ص٦١٠.

(٢٤) فصلت/٥٣.

(٢٥) الذاريات/ ٥٦.

(٢٦) د. صابر طعيمة، العقل والإيمان ، (بيروت: دار الجيل ، ١٩٩٠) ، ط ١ ، ص: ٤٨.

(٢٧) عباس محمود العقاد: الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص: ٢٠٩ (مرجع سابق).

(٢٨) محمود زيدان ، وليام جيمس ، ص: ٨٦. (مرجع سابق).

(٢٩)عبدالكريم الخطيب، ا ذاتاً وموضوعاً (دار الفكر العربي، ١٣٩١هـ)، ط٢، ص:١٢٨.

(٣٠) الروم/٧.

(٣١) الحج/ ٥.

(٣٢) النور/ ٤٣.

(٣٣) الزمر/ ٥.

(٣٤) يس/ ٣٨-٣٩-٤٠.

(٣٥) إبراهيم/ ٣٣.

(٣٦) ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، وط دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ)، ج:١، ص: ٥٦٤.

(٣٧) رواه مسلم (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي١٣٧٥) ط١، ج:٣، ص:١٥٢٧.

(٣٨) الحجرت/١٢.

(٣٩) يوسف/١٠.

(٤٠) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني (مصر: مصطفى البابي الحلبي)، ص: ١٠٩٠.

(٤١) أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، (مصر: مصطفى البابي الحلبي)، ط٢، ج:١، ص:٨.

(٤٢) التهانوي، محمد علي (١١٥٨هـ) كشاف اصطلاحات الفنون، (ط. الهند كلكته)، مجلد٢، ص:١٠٩.
(٤٣) البقرة/١-٢-٣.
(٤٤) سيد قطب، في ظلال القرآن (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٧١م)، ط:٧، ج:١، ص:١٤.
(٤٥) آل عمران/١٧٩.
(٤٦) آل عمران/٤٤.
(٤٧) الأعراف/٨٨.
(٤٨) الجن/٢٦.
(٤٩) هود/١٢٣
(٥٠) الأنعام/٥٩.
(٥١) القرطبي، أبو عبدا محمد بن أحمد الأنصاري، (الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر العربي)، ج:٧، ص:١.
(٥٢) النمل/٦٥.
(٥٣) ابن حجر، فتح الباري، ج:٨، ص٢٩١.
(٥٤) الشيخ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، ج:١، ص:١٢٧.
(٥٥) رواه مسلم، ج:١، ص:٤
(٥٦) ابن حجر، فتح الباري، جـ:٨، ص٢٩١.
(٥٧) رواه أحمد في مسند، ١، ص٣٩١، قال في مجمع الزوائد، ج:١، ص١٨٦، رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبزار.. ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان).
(٥٨) رواه أحمد في مسنده، ج:٤، ص:٢٦٤.
(٥٩) النمل/٦٥.
(٦٠) الجن/٥٩.
(٦١) الأنعام/ ٥٩.
(٦٢) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢) ط ١ ، جـ: ١ ، ص:٤٤.
(٦٣) الشيخ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) ج:٧، ص:٤٢٢.
(٦٤) المؤمنون/١٠٤
(٦٥) النور/ ٢٤.
(٦٦) النمل/ ٣٨-٤٠.
(٦٧) النمل/ ١٨.
(٦٨) البقرة/ ٦٠.
(٦٩) الأعراف/ ١١٧.

(٧٠) البقرة/ ٦٥.
(٧١) الأنبياء/ ٦٩.
(٧٢) الصافات/ ١٤٢-١٤٣-١٤٤.
(٧٣) لقمان/ ٣٤.
(٧٤) أبو الحسن الندوي ، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن (دمشق: دار القلم ، ١٤٠٠ هـ) ، ط: ٥ ، ص: ٧٥.
(٧٥) جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن (دمشق: دار القلم ، ١٩٨٠) ط ١ ، ج: ٢، ص: ٢١٦.
(٧٦) النحل/٧٧.
(٧٧) سورة الجن/ ٢٦.
(٧٨) ق/٣٣.
(٧٩) الملك/١٢.
(٨٠) آل عمران/ ٧ - ٨.
(٨١) د. عماد الدين خليل ، مدخل إلى إسلامية المعرفة ، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩١) ص: ٣٤.
(٨٢) عبد المنعم النمر: الإسلام والمبادئ المستوردة ، ص: ١٧.
(٨٣) أبو الحسن على الحسني الندوي: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، ص: ٧٨.
(٨٤) عبد الرحمن حبنكة الميداني، كواشف زيوف(دمشق: دار القلم ، ١٤١٢ - ١٩٩١م) ط ٢، ص: ١٥٩.
(٨٥) المرجع السابق ، ص: ١٢١.
(٨٦) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ط٦، ج:١، ص١٣٠.
(٨٧) نبيل علي صالح ، مدخل إلى معرفة الإدراك العقلي ، مجلة الباحث تصدر عن دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع ، (كانون أول) ١٩٩٤ ، السنة الثالثة عشرة ، العدد: ٦٣.
(٨٨) ابن خلدون ، المقدمة ، (طبعة لبنان، دون تاريخ) ص: ٣٢٢ - ٣٢٣.
(٨٩) بسام سلامة، الإيمان بالغيب (الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ط١، ص:١١١.
(٩٠) د. معن زيادة، الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة، (لبنان: دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة)، ص:١٥١.
(٩١) الشهرستاني (عبد الكريم) الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز الوكيل (القاهرة: مؤسسة الحلبي ١٩٦٨) جـ: ٢، ص: ٢١٦. وانظر: د. معن زيادة، الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة (لبنان: دار اقرأ للطباعة والتوزيع والنشر)، ص: ١٥٩.
(٩٢) المرجع نفسه ، ص: ٣٠٢.
(٩٣) د. محمد غلاب ، المعرفة عند مفكري الإسلام. (مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة ودار الجيل ، ١٩٦٦) ط١ ، ص: ٤٥.
(٩٤) وحيد الدين خان ، الدين في مواجهة العلم (لبنان: المختار الإسلامي ١٩٧٥) ، ص: ١٤.

(٩٥) الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. تحقيق أحمد حسين كعكو. (حلب: المطبعة العربية ١٩٨٨)، ص: ٧.
(٩٦) الزمر/١٩.
(٩٧) البقرة/١٧٧.

المصادر والمراجع:

١- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ط.١
٢- البوطي (محمد سعيد رمضان)، من المسؤول عن تخاف المسلمين، (دمشق: مكتبة الفارابي، ١٩٩٠).
٣- ابن العربي، أبو بكر، أحكام القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، (مصر: مصطفى البابي الحلبي)
٤- التفتازاني (سعد الدين ت ٣٩٧ هـ) ، شرح العقـائد النسفية ، (بغداد: مكتبة المثنى ١٣٢٩ هـ).
٥- ابن تيمية (أحمد)، درء تعارض النقل والعقـل تحقيق رشاد سالم، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود/١٩٨٨.
٦- الطويل، توفيق: أسس الفلسفة، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤)
٧- د. حلمي عبد المنعم صابر ، قضايا معاصرة في ضوء الإسلام (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦).
٨- الندوي، أبو الحسن، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، (دمشق: دار القلم، ١٤٠٠هـ)، ط٥.
٩- خليل (عماد الدين) ، مدخل إلى إسلامية المعرفة ، (طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١).
١٠- ابن خلدون (عبد الرحمن) ، مقدمة ابن خلدون (طبعة بيروت دون تاريخ).
١١- خان(وحيد الدين) ، الدين في مواجهة العلم ، (بيروت: المنار الإسلامي، ١٩٨٠) ط ٦.
١٢- الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي (مصر: مصطفى البابي الحلبي).
١٣- الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق أحمد كعكو (حلب، المطبعة العربية ١٩٨٨).
١٤- الرازي، فخر الدين، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٨٤).
١٥- زيدان (محمود) ، وليام جيمس ، (مصر: دار المعارف ، ١٩٦٥).
١٦- سلامة بسام، الإيمان بالغيب (الأردن: مكتبة المنار ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ط١.
١٧- أبو السعود (محمد بن محمد بن مصطفى العمادي) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢).
١٨- السيوطي (جلال الدين) ، الإتقان في علوم القرآن (دمشق: دار القلم ، ١٩٨٥).

١٩- الشهرستاني (عبد الكريم) ، الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز الوكيل (القاهرة: مؤسسة الحلبي ، ١٩٦٨).
٢٠- طعيمة (صابر) ، العقل والإيمان ، (لبنان: دار الجيل ١٩٩١).
٢١- العقـ ـاد (عبـاس محمود) الأعمـال الكاملة ، كتاب الإسلام والحضارة الإنسانية (بيروت: دار الكتاب اللبناني ،١٩٨١).
٢٢- الخطيب، عبد الكريم، القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، (بيروت: دار المعرفة ١٩٨٠) ط:١، ص:١٨-١٩.
- ا ذاتاً وموضوعاً (دار الفكر العربي، ١٣٩١هـ) ط٢.
٢٣- المسيري، عبدالوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، (دمشق، دار الفكر ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣)ط:١.
٢٤- غلاب (محمد) ، المعرفة عند مفكري الإسلام ، (مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة ودار الجيل ، ١٩٦٦).
٢٥- الفارابي (أبو نصر)، آراء أهل المدينة الفاضلة (القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٠٦).
٢٦- القرطبي (أبو عبدا محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن (دار الفكر العربي).
٢٧- قطب (سيد) ، في ظلال القرآن ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧١) ، ط ٧.
٢٨- ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٨هـ).
٢٩- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)
٣٠- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٩٦)، ط١.
٣١- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨)ط١.
٣٢- الميداني(عبد الرحمن حسن حبنكة) كواشف زيوف ، (دمشق: دار القلم ،١٤١٢ هـ) ، ط ٢.
٣٣- النـدوي (أبو الحسن) ، النبـوة والأنبياء في ضوء القرآن (دمشق: دار القلـم ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م).
٣٤- أبو نصر الفارابي، عيون المسائل (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩١٠).
٣٥- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة (مصر: دار المعارف: ١٩٥٧).

الـ ـدوريـات

٣٦- نبيل علي صالح، مقال مدخل إلى معرفة الإدراك العقلي ، مجلة الباحث، دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٤ ، السنة الثالثة عشرة العدد ٦٣ (كانون الأول).